ISSN: 1112-9212 / EISSN 2602-5043	مجلة تطوير العلوم الاجتماعية (241،229) 14 (02) 2021
تاريخ النشر: 2022/04/12	تاريخ الاستلام: 2021/06/11 تاريخ القبول: 2022/03/28

الاغتراب الثقافي بفعل التكنولوجيا المقتحمة لخصوصية المجتمعات

Aliénation culturelle due à la technologie envahissant l'intimité des sociétés

عطية شطة*

المركز الجامعي نور البشير البيض الجزائر

ملخص:

لا شك ان المجتمع العربي والمسلم عامة والبشرية جمعاء في تشرذم وعلاقاته بين أفراده في تهلهل بعد ما اتسمت على مر العصور بالترابط و المتانة مما جعلها الصخرة التي تتفتت عليها في كل مرة المحاولات المستمرة للنيل منها والتخطيط لها عبر مخابر أجنبية تعرف أن فك أواصرها مجد لهذه المجتمعات مما يسهل النيل منها وتعريضها للاستلاب الحضاري والفكري وبالتالي تعريضها لاستعمار سياسي ، ولنا تجربة كافية حيث يجد العدو منفذا عبر وسائل ظاهرها فيه رحمة التطور التكنولوجي و باطنه من قبله عذاب الفرقة والتناحر المذهبي والفكري كسياسة استعمارية في ثوب جديد يرافقه التطور الحاصل في مجال وسائل التواصل الالكتروني.

فعلا لقد أصبحت مسألة الاستقرار الاجتماعي باعتبارها رديفة الأمن الفكري من المواضيع الهامة، ذلك أن درجة خطورتها على حياة الشعوب ومستقبل الأمم تقتضي واجب تناولها لكونها مسألة أساسية ومعاصرة ولا مناص من مواجهتها في ظل الواقع المعيش للأمة العربية والإسلامية وما أفرزته من توترات أدت إلى بروز ظاهرتي الاغتراب الثقافي والتطرف الديني، بفعل حنين الحضارات الاستعمارية الى سابق عنجهيتها على غيرها من المجتمعات المستضعفة وذلك نظير تفاوت في التطور والمستوى المعيشي بين الجهتين .

الكلمات المفتاحية: الدين ،المجتمع ، التنشيئة ، الاغتراب ، الهوية ،

Abstract

There is no doubt that Arab and Muslim society in general and all of humanity in their fragmentation and relations among their members have been dilapidated by the fact that, over the ages, they have been interdependent and strong, making them the rock on which they have been shattered every time by constant attempts to undermine them and to plan them through foreign laboratories, knowing that breaking their bonds is a benefit of these societies, making it easier to undermine them and exposing them to civilizational and intellectual relaxation. Indeed, the question of social stability as intellectual security has become an important issue. The degree to which it is dangerous to the lives of peoples and the future of nations requires that it be addressed because it is a fundamental, contemporary and inevitable issue in the light of the living realities of the Arab and Islamic nation and the tensions it has created that have given rise to the phenomena of cultural alienation and religious extremism.

* - Corresponding author, e-mail: attiachatta@yahoo.fr

مقدمة:

تبعا لما اعترى المجتمع العربي والمسلم عامة والبشرية جمعاء من تشرذم وتهلهل لعلاقاته بين أفراده والتي اتسمت على مر العصور بالترابط والصلابة جعلتها الصخرة التي تفتت عليها المحاولات المستمرة إلى يوم الدين لفكها والتخطيط لها عبر مخابر سوسيوأمنية تعرف جيدا أن التفرقة ترياق نافع لوحدة المجتمعات في فك ارتباطها مما يجعلها لقمة سائغة لأي استلاب حضاري وفكري مآله استعمار سياسي كما حدث في كل مرة وجد العدو منفذا عبر وسائل ظاهرها فيه رحمة التطور التكنولوجي و باطنه من قبله عذاب الفرقة وال التناحر المذهبي والفكري باعتباره مناط كل سياسة استعمارية في ثوب جديد متجدد مع التطور الحاصل في مجال وسائل الاتصال الالكتروني والتواصل التكنولوجي . وليد منير التنمية وأزمة الثقافة بين ظاهرة الاستلاب و فاعلية التغيير (منير، 2010)

لقد أصبحت مسألة الأمن الفكري من المواضيع الحيوية والهامة ، ذلك أن درجة الحساسية التي تكتسيها في حياة الشعوب ومستقبل الأمم تقتضي واجب طرقها لكونها مسألة أساسية ومعاصرة ولا مناص من مواجهتها في ظل معطيات الأوضاع التي تعيشها الأمة العربية والإسلامية وما أفرزته من توترات أدت إلى بروز ظاهرتي الاغتراب الثقافي والتطرف العقائدي ، ربما بفعل تكبر وتعالي بعض الحضارات على غيرها نظير تهلهل في العلاقات أو تفاوت في التطور والمستوى المعيشي لشعوبها بما لا يدع مجالا للتقارب الذي تبنى على اساسه الوحدة الحضارية الانسانية المنشودة (الصويري، 2017).

وعليه ، فإن الدول تسعى عبر سلطاتها العمومية إلى صون مجتمعاتها من التهديدات التي لا تفتر في كل حين وفي أية مناسبة يراها العدو سانحة لفك أواصر وحدتها و تهلهل روابطها والانقضاض على ما تبقى من هويتها و موروثها وأحرى دينها إذا اقتنعنا بأن هذه التكنولوجيا المقتحمة لخصوصية الافراد وبيضة المجتمعات إنما جاءت لتسويق فكرة شائعة هي جعل العالم برمته قرية واحدة ، إلا أنه بمفهوم المقابلة فرقته إربا إربا وباعدت أكثر مما قربت .

و كإشكالية يتمحور حولها مقالي هذا يمكن طرح التساول: **ما أثر هذه التكنولوجيا الاتصالية ولواحقها من وسائط اجتماعية على المجتمعات ، وماذا أعدت الحكومات لمجابهة هذا الخطر الداهم الذي ليس أي مجتمع بمنأى عنه.**

إن قلق الباحثين والساسة على حد سواء إنما جاء للنظر في هذا التغير الاجتماعي الحاصل في العالم وتمحيص مخرجات هذه الثورة التي غيرت فعلا معالم المجتمعات من منغلقة على نفسها تميزت لأحقاب وعهود بالخصوصية فحولتها على عجل ودون رغبة إلى فضاء مفتوح على الآخر تم بفعل وسائل الاتصال عرضة للتغير وسهل التناول من طرف الغير صديقا له قواسم مشتركة من

الدين والعادات واللغة ونمط الحياة أو عدوا متربصا لا يجمعنا به إلا المشترك الانساني ، مما حدى بالسلطات العمومية ومن ورائها المفكرون والاكاديميون إلى دق ناقوس الخطر لتحصين هوية المجتمع والحفاظ على ما تبقى من خصوصيته لا سيما في شقها التنشيئي بالنسبة للشباب ، ذلك أن التفكير في مآلات المجتمعات لا سيما الأخلاقية إنما هو تفكير في حد ذاته في جوهر رسالة الانسان في هذه الحياة وضمان بقائه أصلا من جهة والتفكير في عيشه بسلام مع الآخر ولن يتأتى ذلك إلا باستحضار قول الله تعالى : **وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** . (الحجرات، صفحة آية 13)

كما ان الهوية لا تقتصر على الثابت من الموروث بل تتعداه إلى مجاراة الوافد من غيرها من الحضارات لمواكبة التغير الحاصل في محيطنا وضمانا لبقائنا في عالم لا يعترف بالتحجر الفكري والحضاري. (الحكيم، 2017)

و جوهر التقوى هو أن تفسح لغيرك مجالات الحياة و تضمن له السعادة المنشودة وفق قناعاته بلا تضييق مهما كان حتى ولو تعلق الأمر بتطور إنساني معين كالتكنولوجيا التي انحرفت عن غايتها وأصبحت معولا أتى على الروابط الانسانية والعلاقات العائلية و هدد أمن المجتمعات لا سيما في فكرها حيث أصبح أفرادها يتلقفون كل واردة شاردة قد لا تتوافق مع هويته ومرجعيته الفكرية والدينية.

لكن المتفق عليه أن الأمن الفكري هاجس لتلك السلطات باعتباره ذلك الانسجام الموجود بين ما يؤمن به المجتمع وبين ما يعيشه في يومياته وما تختلج به سرائر أفراده وما تشبعت به مفردات حياته اليومية وما يتطلع إليه، إلا أن تحقيق ذلك يتوقف على الإجماع الموجود بين الأفراد في استنادهم إلى مرجعية عقائدية وثقافية واحدة جسدت المعالم الرئيسية للخلفية التي يؤمن بها المجتمع بمختلف طوائفه وعلى تعدد نسيجه الثقافي والسياسي.

ومن هنا جاءت فكرة تناول موضوع الأمن الفكري في المجتمعات وسبل تحصينه في مواجهة الاستلاب الناتج عن التكنولوجيا الاتصالية المقتحمة، محاولا تناول الموضوع في محاور بعد التعريج على الجانب المفاهيمي ثم نشأة وسائل الاتصال وكذا أثرها على كافة نواحي الحياة السياسية والاقتصادية و العلاقاتية وصولا الى نتائج ألخصها في آليات وضوابط وساءل الاتصال في المجتمع وتناغمها مع حياة الأفراد بما يحقق لهم حدا أدنى من السكينة يأمنون به على أمنهم الفكري.

فاعتبارا بأن المجتمعات في حاجة ماسة للأمن الفكري لجمع أفرادها على مرجعية واحدة بغرض الوصول الى فهم أن تحقيق الأمن الفكري هو مسؤولية المجتمع بكل مكوناته من أجل الاجتماع حول فكرة واحدة وأساسية بشأن العقيدة والوطن، اجتماعا لا يبقى معه شك في كون الدين على رأس ما يخاف عليه ، ذلك أن المرجعية الدينية الواحدة تكاد تكون الضامن لحفظ كلمة المجتمع وتوحيد

نظرته للحياة التي يستلهمها من عقيدته وتشريعاته ، فتصبح هذه التشريعات ضرورية المنهل الواحد على قول الحكيم **واجعل طريقك واحدا للواحد** .

على أن لا يفهم من ذلك أن الأمن الفكري خمار للعقل وحجر عليه بل هو تأكيد على حرية الرأي وسعي من الحكومات إلى حفظ ثوابت الأمة والمحافظة على تراثها ووقايتها من محاولات مسخ الهوية أو الغزو الثقافي الذي يهدد أسس وأصالة المجتمع، ولنا في ذلك مشوار طويل في الاشتغال على موضوع الهوية والثوابت و ضرورة حفظها وصونها بما يضمن للمجتمع أمنه الفكري الذي هو ركيزة نهوضه بين المجتمعات و باعتباره صمام أمانه من كل محاولة لاستلاب ممنهج للقضاء على وحدته وتبديدها وقطع أواصر أفراده.

حقا، لا يمكن للنهضة المتعددة الأبعاد سواء السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أن تشق طريقها للنجاح المنشود من أبناء المجتمع الخيرين سواء ساسته أو مفكريه وتصل إلى تحقيق أهدافها وفق مشروعها الحضاري إلا عن طريق أمن فكري وفق منظور سليم يأخذ في الحسبان قناعة الشعب ومعتقده وخياراته التي بناه الأسلاف عبر أجيال فلا يدعها عرضة لكل وافد جديد عبر نافذة الوسائط التكنولوجية بواسطة الانترنيت، وجملة الوسائط المعلوماتية الأخرى.

ومن هنا، يمكن القول إن السلطات العمومية في كل بلد مدعوة بقوة إلى التدخل وإفضاء المزيد من الرعاية التشريعية والردعية لمنع أي مساس أو تهديد لسلامة فكر مواطنيها بصفتها العين الساهرة على الذود عن دينها وضمان جو ملائم يسمح لهم بممارسة شعائر دينهم بهدوء وبصيرة ممارسة تتسم بالوضوح والاستقرار بدل الاستباحة كما نلاحظ في بعض الأحيان التي يتلقف فيها المواطنون فتاوى تتعارض مع الخط المذهبي الذي رسمته الدولة الرسمية مع الإقرار بصحة غيره ، إلا أن تأكيد الدولة على مذهبها الواحد هو تأكيد على توحيد المشرب الفكري بما لا يدع مجالا او فرصة للمواطن يستقي فيها فكرا قد يتشربه الناشئة فيحيدون على ما كان عليه أسلافهم.

كما أن إخفاق السياسات الثقافية في اعتماد جملة قيم الحضارة الحديثة جعل الفرد يعايش عديد النماذج الحضارية في آن واحد. (لحسن)

هذا، وإن المجتمع ببعده عن الدين لا سيما في وطننا العربي جراء استفحال هذا الوافد الجديد الذي طال هدوؤه وتوغل في ثناياه و استأنس له أفراد المجتمع و ألفه كبيرنا وصغيرنا حتى أصبح فعلا يشكل خطرا داهما على نمط حياة كل واحد منا حتى سهل انغماسه في ملذات الدنيا وتكالب الناس عليها لا سيما الشباب مرتع آفات الوسائط المعلوماتية، مما دفع السلطات العمومية و من ورائها المفكرين والخيرين للنظر في حلول لهذا الضر العابر للمجتمعات والذي لا دين له ولا هدف إلا أن يفسد على بني البشر حياتهم الهادئة ، ولن يتأتى له ذلك إلا بالعودة إلى التربية الاسلامية الصحيحة . لقد خلق الله تعالى الإنسان فأكرمه، قال تعالى:

" **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا** " (الإسراء، صفحة آية 70)

أي فضلنا بني آدم بالعلم واعتدال الخلق ليعمل الإنسان على إسعاد نفسه وبيئته ويسعى في عمارة الكون بما يصلح الخلق والأرض، فإذا انحرف عن هذه الخيرية و نزع إلى الفساد فهو مجانب للفطرة السليمة التي فطر الله تعالى الإنسان عليها، والتي من أبرز مظاهر الانحراف عنها في هذا العصر آفة الإرهاب ولاسيما استغلال الوسائل الحديثة في ذلك، ولعل من الصور الحديثة للإرهاب استخدام الوسائل الإلكترونية فيه خاصة في غياب تربية إسلامية أصيلة.

إن انحراف المجتمع أو جزء منه وسلبه ثقافته و أمنه عبر الإرهاب الإلكتروني هو جوهر العدوان أو التخويف أو التهديد ماديًا أو معنويًا باستخدام الوسائل الإلكترونية الصادر من الدول أو الجماعات أو الأفراد على الإنسان أو دينه، أو نفسه، أو عرضه، أو عقله، أو ماله، بغير حق بشتى صنوفه وصور الإفساد في الأرض والأمن فيها .

كما أن الدول و كمسؤولية يتحتم عليها أن تسعى جاهدة ودون تخاذل للعمل في هذا الإطار لتقوية مناعة مجتمعاتها من كل وافد من شأنه تهديد لحمتها وخصوصيتها بما يقوي مفهوم المشترك الإنساني، مؤجلة كل تنمية قد تبدو ضرورية وفق مبدإ **درء المفسدة أولى من جلب المنفعة** كما يقول الأصوليون.

حقا لقد أفرزت ظاهرة العولمة الفكرية تنميطا لحياة البشرية جمعاء و كأن أمرا ما يحاك ضدها لاسيما في ظل الانفتاح الكبير الذي أتاحتْه وسائلُ التواصل بين ثقافات الشعوب التي بدأت تستشعر التداعيات السلبية لهه المسألة على كافة نواحي الحياة ؛ و أضحت هذه الشعوب لا تحتمل استلاب ثقافتها عنوة من طرف الآخر عبر تكنولوجيا الاتصال الحديثة، والفضاء الإعلامي المفتوح في كل الاتجاهات بلا قيود أتت على ما تبقى من موروث الأمم كالحياء وخصوصية الأفراد، مما يسبب من ضجر و تذمر بالغين على صعيد الشعوب والأفراد، من خلال أساليب تزيين الثقافة الوافدة للجيل، وتحبيب تَبَنِّيهم لها، وما يعنيه هذا التحدي من مسخ للخصوصيات الوطنية على وقع قوله تعالى: **وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل** . (محمد، صفحة آية 38)

لذلك باتت بواعث الغزو الثقافي الأجنبي ودوافعه واضحةً المعالم مكشوفة النوايا من مصادرها لأي عاقل، لا سيما في العالم الإسلامي، باعتبارها لا تقتصر على مجرد الإحاطة العلمية و التفوق الاقتصادي للغرب، وإنما تتجاوزه إلى مسخ الهُويات الاجتماعية وتهديد الدولة الوطنية، وطمس انقياد الأفراد بالتعاليم الدينية، و إذهاب التقاليد التراثية في ثنايا قناعات مفتعلة مشتركة بين شعوب الغرب

والشرق، لا سيما وأن الغزو الثقافي يتميز – كما هو معروف – بالشمولية، وبالتالي فهو لا يقف عند حد، ولا يكتفي بمجال بعينه.

ولا زال الأمن بكافة مدلولاته هاجس البشر جميعهم لأنهم ينشدون حياة آمنة مطمئنة بل هي مطلب الاسلام ذاته (المعلى، 2016).

ولا شك أن من مقاصد الشرع صون العقل والنفس و الفكر وسلامته من أيّ مؤثّرات خارجية قد تعرّضه للانحراف، والتضليل، لابدّ لنا أن نكثّف جهودنا التربوية من أجل سلامة فكر شبابنا.

إن الأمن الاجتماعي مطلبٌ عظيمٌ، وغايةٌ جليلةٌ، ومن أهمها المحافظة على الكليات الخمس وهي: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، قال الله تعالى: **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** (النحل)

وقد قال النَّبيّ– صلَّى الله عليه وسلَّم–: **من أصبح منكم آمنًا في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها**. سنن الترمذي

وهذا ما تسعى كل الأمم والشعوب إلى تحقيقه، وتبذل كل الدول الغالي والنفيس للوصول إليه، والتمتع به؛ لأنّه هو المظلة التي يمكن من خلالها تحقيق التطوّر والازدهار، والوصول إلى النمو والارتقاء في جميع المجالات: الاقتصاديَّة، و الاجتماعيَّة و العلميَّة، و العمرانية، و الطّبية، وغير ذلك، ففي وجود الأمن والأمـان تتفرغ الشعوب إلى العلم و التعلم، وإلى العمل و الإنتاج، ويتمكن الناس من أداء شعائرهم الدينية، والقيام بواجباتهم الوطنيَّة، ذلك أن كل أصولية قائمة على رفض الأخر لا يمكن أن تكون إلا ارتدادا لفكرة تفريقية مآله الفشل في المشروع الحضاري الصحيح للإنسانية. (شايغان، 1991)

إن مسألة استفحال الوسائل التواصلية الحديثة وقضائها على نمط حياة بسيط في تركيبته سليم في مساراته مستمر ومثمر جعلنا نتذكر بأسى ما فعلته بنا وسائل التواصل التكنولوجية التي من واجبنا تسميتها وسائل التفرقة بين المجتمعات بل فرقت حتى بين أفراد الأسرة الواحدة ، ألا يستحق هذا وقفة مع الذات نستحضر معها ذلك الماضي المشرق لنمط علاقاتنا المبنية على أسس أهمها الصدق حيث أصبحنا لا نأمن على شخصية من نتواصل معهم جراء انتحال الصفات و الألقاب وحتى الأسماء استدرارا لمكانة و تموقع مغشوش يرجى منه تغليط الآخر أو تتويهه واستغلاله لا سيما شبكات التجنيد العاملة في أوساط الناشئة .

فلا بد من الاعتناء بهذا الجانب في مشاريع محاربة الإرهاب، والعمل على توظيفها في علاج الظاهرة واجتثاث أصولها بالالتفات إلى قطاع التربية والتعليم بمختلف أطواره و إعادة صياغة

تصوّراتنا و بناء خطاب معتدل وكذا إعادة النظر في الآليات البيداغوجية و المقررات المعتمدة وفق خطة واضحة المعالم هدفها استغلال أمثل للتكنولوجيا و الحفاظ على ثوابت وخصوصية المجتمع بما يمكّن من تأصيل المنهج للجمع بعقلانية بين الحداثة والهوية وثنائية الشريعة الاسلامية الثابت والمتحول في ظل تغول العولمة وذلك في البرامج التعليمية في كافة مراحل الدراسة بدء من الابتدائي ثم الإعدادي ، وختاما الثانوي، لتبقى الجامعة بكلياتها ومعاهدها محور أمل السلطات في كل بلد لتخريج أفراد أكفاء يقع على عواتقهم نقل الفكر الصحيح والتفكير في نموذج مجتمع فاضل يسوده الاستقرار والأمن في إطار مبادئ تتقاسمها كافة الديانات الحنيفية و قعد لها كبار الفلاسفة بل هي من المشترك الانساني على اعتبار بعض الحركات والتيارات التي تدعي امتلاك الحقيقة واحتكار الدين دافعا نحو التطرف، ذلك أن منشأها رفض الخطاب التنويري، وتقديس التراث بكل أخطائه و سياقاته ، والارتباط بمرجعيات غير وطنية، لها ظروفها الخاصة بها ، فتسقط هذه الحركات من حيث لا تدري في تغذية التطرف وإنتاجه مهما كانت مواقفها تظهر الاعتدال وتدين الإرهاب .

لقد أصبح الإرهاب الإلكتروني فعلا هاجسا يخيف العالم الذي أصبح عرضة لهجمات الإرهابيين عبر الإنترنت الذين يمارسون نشاطهم التخريبي من أي مكان في العالم، وهذه المخاطر تتفاقم بمرور الأيام ، وما دامت التقنية الحديثة وحدها غير قادرة على حماية الناس من العمليات الإرهابية الإلكترونية والتي سببت أضرارًا جسيمة على الأفراد والمنظمات والدول فإن العديد من الدول قد سارعت إلى اتخاذ تدابير لمواجهة الظاهرة، إلا أن هذه الجهود قليلة ولا تزال بحاجة إلى المزيد من هذه الجهود المبذولة لمواجهة هذا السلاح الخطير ، كما أن ضرورة التزام السلطات العمومية لكل بلد من بلدان العالم، وهي تدرك جيدا خطورة الوضع وتولي بالغ الأهمية لهذه المسألة نظرا لحساسيتها وطابعها العاطفي جعلها تصدر تشريعات لمكافحة الظاهرة مما سيحفظها من أن تكون منفذا لكل خطة خارجية لتهديد أمنها .

كما أن حاجة المجتمع إلى أمن متعدد الجوانب وقد استفحلت المعلوماتية فيه جعلته يبحث عن إعادة بناء استقراره بعد محن متلاحقة هي بنفس حاجته للأمن الغذائي يبين أنه بقدر الابتعاد عن الاعتدال بقدر ما يزيد بروز ظاهرة التطرف الديني والفكر التكفيري الناتج عن التعصب وإلغاء الآخر، ولا سبيل إلى معالجة الفكر المتطرف إلا بتفكيك أسانيد هذا الفكر المنحرف الخطير وتفنيد مرجعيته وإبطال حجيته، إذ لا شك أن ظهور الحواسيب قد أدى إلى تغيير شكل الحياة في العالم وأضحت الشعوب وحكوماتها تعتمد على التقنيات الحديثة للتواصل .

وما دام الأمن الفكري توعية وفق خطة استراتيجية مستعجلة لمجابهة خطر داهم لا تشبه تحقيق أمن عسكري ولا غذائي فهو مسألة غير محسوسة و هو ما يؤمن به المجتمع وما يعيشه

وما يتطلع إليه، مرجعية عقدية ثقافية واحدة يؤمن بها المجتمع على تعدد نسيجه الثقافي والسياسي والاجتماعي يقدسها الجميع ويجسدها الجميع في السلوك الفردي والجماعي مما يحقق التماسك و الوحدة، ذلك أن تهديد عقيدة المجتمع يبدأ بالطعن في وحدة مرجعيتها .

إنها دعوة صريحة إلى توحيد الرؤى والخطط الرسمية تجنبا لكل ما يقع من اضطراب عند الشباب على مستوى حياتهم اليومية، مما يجعلهم فريسة سهلة لبعض الأفكار الهدامة وبعض التنظيمات الوهمية تدفع لتغيير الواقع الآمن بدعوى تحقيق دولة الاسلام وتحكيمها داخل دول تتبنى الاسلام دينا لها ، فيا للغرابة ويا لخطورة نفاذ حكم قوله تعالى فينا : وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون . (النحل، صفحة آ112)

لقد بات الضمير الانساني الحي مهددا بالزوال مناشدا الساسة والمفكرين حول العالم بأن لا يؤجلوا قول الحق قبل ان يفقد الجميع انسانيته وضميره وتنهار القيم النبيلة التي بعث من اجلها الرسل والانبياء عليهم السلام ونظر لها فلاسفة عظام وناضل من اجلها ساسة احرار، ذلك أن الحلول الامنية باتت من الفشل بمكان إذا لم تعضدها نظرة شاملة ومنها السعي الحثيث لمكافحة الارهاب الالكتروني لاسيما لدى الشباب، فلا هوية من دون منظور ثقافي ولا تستند إلى خلفية ثقافية، والثقافة في عمقها وجوهرها، هوية قائمة بالذات. (عباسي، 2010)

إذ ما من مذهب إلا وسيف ينصره وما من حكم إلا ومذهب يعضده .

إن لنا في محاولة الاستعمار الفرنسي في بلاد الغرب الاسلامي و أشدها تأثرا الجزائر تفكيك منظومتها المجتمعية لخير دليل بما أثر على المرجعية الدينية في أغلب البلاد المغاربية ، و الذي عمل على تهديم الهوية الوطنية المتمثلة في الدين الإسلامي واللغة العربية و مجمل العادات و التقاليد، و باقي تفكيك منظومة الأفكار الأخلاقية للأمة ، زيادة إلى دخول الأفكار الواردة بعد الاستقلال، منها الفكر المتشدد و المتطرف و الماركسية والعلمانية المتطرفة، وكلها عوامل هددت ولازالت المجتمع ، دون إغفال عامل الانفتاح على وسائل التواصل الاجتماعي والإعلام وكلها وسائل ساهمت في عولمة الأفكار بظهور الفرق المتطرفة الخارجة عن المرجعية .

فإذا كان الطفل يولد عاجزا عن التكيف مع محيطه فإنه ينضم للمجتمع مع مرور الوقت مع حاجته المتزايدة إلى التكيف مع هذا المحيط وهو ما يصطلح على تسميته بالتنشية الاجتماعية، كما إن عملية تربية الفرد وإعداد حيز له بين أفراد مجتمعه بتعديل سلوكه بما يتوافق و أفكار الضمير الجمعي لمجتمعه، وتعتبر التربية ما يضاف على تنشئة الطفل اجتماعيا من أخلاق وقيم وتدريب فكري، و هي إعداد الفرد منذ ولادته بتشكيل سلوكه ليكون عنصرا من مجتمع يؤثر فيه ويتأثر به وتحمل تبعات هذا الانتماء في مختلف الأنساق اقتصاديا وسياسيا وثقافيا، كما أن المربي قدوة

لتلامذته، وهي عملية مستمرة منذ الولادة إلى الأسرة ثم المدرسة و هكذا كلما اتسعت الأنساق زاد التثاقف و ازداد منهل الفرد منه .

إذ يستشف من تعاليم التربية التي كان يمليها الخلفاء والحكام العرب والمسلمون على مربي ومعلمي أبنائهم أن المسلمين الأوائل قد ألموا بجوانب التربية الصحية والجسمية والروحية على حد سواء، فلم تقتصر على صب التعاليم الشرعية جافة فقد ركزوا على الشعر والبيان والرعاية الصحية والترفيه لما لذلك من حسن عواقب على طالب العلم، وكيف يكون ذلك غريبا على شريعة أول ما نزل منها – **اقرأ** – في تفتح على الآخر واحتضانا لما يرد من تطور تكنولوجي وفي كافة جوانب الحياة مع الحفاظ على خصوصيتنا ويوافق معتقدنا وموروثنا ، كما أنه من أجل المحافظة على العقل حُرِّم الاعتداء عليه بمشروب أو مطعومٍ محرَّم، أو نحو ذلك مما يُغيِّبه، أو يُعطله، أو يُؤثِّر عليه بأي صورة من الصور فكذالك وجب صون العقل عن الإدمان الالكتروني و إحلال محله تربية روحية هي الغائب الأكبر من منظوماتنا التربوية .

كل هذا يبين بوضوح مدى اهتمام التربية الإسلامية بجسم الإنسان الذي يُعد وعاء العقل والروح، ومنزلهما، وميدان تفاعلهما، ذلك أن غياب الجانب الذوقي من منظوماتنا ينتج مخرجات جافة من طلبة العلم لا يتذوقون الحياة فيستسهلون تنغيصها ويجرؤون على تهديد سلامتها بدعاوى عدة قد يرون لها مسوغات وهمية منها الانقضاض على الوافد من تكنولوجيا ووسائل تواصل شكلت كارثة حقيقية على حياة مجتمعات كانت بالأمس القريب مرجعا للشعوب المحافظة لا داعي للتشهير بها.

إن صعوبة تطبيق الأمن الفكري والعلوم الإنسانية في منظوماتنا انطلاقا مما أنتجه الآخر من أطروحات ومفاهيم انطلقت من واقع غير معيش يدفع بضرورة توفير متطلبات الأمن الفكري الذي تشارك فيه الجامعة ومؤسسات عامة كمراكز البحث.

كما أن الثقافة التي هي بناء الهوية من حيث النوع قد تكون علمية تقنية أو تكون أدبية إنسانية, فالثقافة التقنية عالمية بطبيعتها لأنها مرتبطة بالعقل، فهي وسائل التطور في مجال المدنية، أما الثقافة الإنسانية التي تقوم على العطاء الحضاري وتطور الإنسان نفسه فإنّها من الأمور القومية التي لا يمكن تعميمها ولا يسمح بهدر هويتها، لأنّها مرتبطة عضويا بالتاريخ والطبيعة، وهي حيز الخصوصية. (البهنسي، 2009)

لقد شهدت بعض الدول خلال السنوات الأخيرة، محاولات لنشر الفكر المتطرف الذي غزى عقول الشباب عبر وسائل التواصل الاجتماعي في غفلة من الحكومات من خلال ظهور الفرق الطائفية الضالة والخارجة عن المرجعية الدينية بأبعادها في محاربة الفكر المتطرف ومنه تأمين

عقول وأفكار الشباب الجزائري وتحصين الهوية الوطنية من الثقافات الدخيلة و تهديد اللحمة الوطنية كحلم يراود الأعداء.

إن ما تتطلبه مصلحة المجتمع والأمة، و بالنظر إلى ما يحصل في الوطن العربي والإقليمي والعالمي نتيجة الثورات التي اندلعت باسم تشرذم مذهبي تأخرت أنظمة الحكم فيها في تداركه كانت سببا في خراب دول بأكملها باسم الدين .

إن الدول الأجنبية التي تدعم تلك التوجهات والأفكار عبر الوسائط المعلوماتية لن يغمض لها جفن من أجل تفريق كلمة المسلمين وزرع البلبلة بينهم – والواقع يثبت ذلك – مشيا مع مبدأ فرّق تسد بما يخدم مصالحها في النهاية ولتحقيق مآرب و أحقاد دفينة استعمارية لاستغلال ما حبى الله تعالى به هذه الشعوب إن هي بقيت نائمة أو متغافلة عن هذا التهديد الحقيقي ، ولن يتأتى ذلك إلا بتحصين الشباب من تلك الشرور التي لا تعترف بضوابط.

حقا، لقد أضحت مكافحة الإرهاب الإلكتروني ضرورة بشرية وفريضة شرعية تدخل ضمن المشترك الانساني كما أصبح الأمن الإلكتروني ضرورة ملحة لأن حياتنا مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بوسائل الاتصال الحديثة التي سهلت طرق العيش للفرد والمجموعات في كافة المجتمعات البشرية بعدما أضحى من المستحيلات الحفاظ على الخصوصية في حياة كل شخص ، لوجود ما يهدد هذه الخصوصية عن طريق الوافد الجديد ما يسمى بالإرهاب الالكتروني .

ذلك انه لا يمكن لأي بلد في هذا العصر أن يعيش بمنأى عن النقلة المتسارعة، ناهيك عن الآثار الاقتصادية، والاجتماعية، والأمنية الناجمة عنه ، حتى بات من الضروري على السلطات العمومية في كل بلد حماية أفراده ومؤسساته ومقدراته وحضارته من آثار هذا الانفتاح ، وها هي اليوم قد قد اتضحت الفوائد الجمة للمعلوماتية ، فإن المخاطر الكامنة في تغلغل هذه التقنية في بيوتنا ومؤسساتنا تتطلب من المجتمع والدولة معا صد تلك المخاطر، و مكافحة المواقع الضارة التي تدعو إلى الفساد والشر، والمواقع التي تعلم الإرهاب والاعتداء على الغير دون وجه حق كما تقدم بكافة الوسائل صونا لمقدراتها وموروثها وعقيدتها ومن ثم ضمان حياة هادئة لمواطنيها وسط الانسجام والتماسك الموروث في المجتمع ، و اليوم ما من أمل إلا أن تنجح الحكومة في تحقيق تلك الرغبة المتمثلة في تحصين شبابنا خاصة من خطر محدق نافذته الوسائط الالكترونية .

وبذلك يستوجب على الجزائر مراعاة خصوصية مجتمعها وتحقيق حد أدنى من مسايرة المجتمع الدولي ، ونحن مقدرون للسلطات العمومية صعوبة الموقف ، فكما لا أحد يمكنه أن يتوقع نتائج التحول الذي يحدث للفرد فقد يتحول من الاعتدال إلى التطرف فإنه من المعقول أن تخشى السلطة على رعاياها في ممارستهم اليومية التي تحولت عما كانت عليه في غياب الضوابط الاجتماعية وانحراف مسار أبنائها و تغير نمط عيشهم بفعل التطور التكنولوجي لوسائل التواصل

الاجتماعي التي تحطمت معها آخر قلاع الحرمة والغيرة و بابتعادهم عن فحوى دينهم الذي جاء أساسا لضبط مسارهم واعتدال فكرهم بما يخدم أمتهم ومجتمعهم .

إن الأمن الالكتروني ودور المجتمع والسلطات المعنية في تحقيقه، يتوقف على تبادل الآراء والخبرات الواقعية من داخل بيوتنا، و أعني هنا الأسرة و كيف تنجح أسر، وتسقط أخرى في براثن الإرهاب، والتطرّف الفكريّ لن يتحقق الا بالحوار والتضلع بمهارات الاتصال الإنساني الفعّال لإعمال كافة مقدرات الأمة و تكاتف الجهود، فتتوحّد الأهداف للوصول بأوطاننا إلى بر الأمان في زمن الفتن والأهواء والأعداء الذين تربصوا بعقولهم من أجل حماية أغلى ما يملكون عقولهم وفكرهم بغرض ترسيخ معاني الوسطية والتسامح والاعتدال التي يحث عليها ديننا الحنيف ونبينا العظيم عليه الصلاة والسلام الذي بعث رحمة للعالمين.

فعلى الدول والمجتمعات السعي في هذا الإطار وتوحيد جهودها اللوجيستية والفكرية قصد التقليل من وطأة التكنولوجيا المقتحمة التي فرضت واجب التعاون و أصبحت حقيقة واجبة التناول والانقياد بد ما كانت من الكماليات إذا صح التعبير وتخلي الانسانية عن نمط عيش حلو أصبحنا نستذكره كلما علقنا في مستنقع التطور المشوه، إلا أنه وبالرغم من هذا التنوع، فنحن نعيش في حضارة عالمية، على حد تعبير فاكلاف هافل:" إنّنا نعيش في عالم يستظل لأوّل مرة طيلة تاريخه بمظلة حضارة واحدة"(vatlave, 1997) .

خاتمة:

ومن الحلول الناجعة في نظرنا لتوطين الأمن المجتمعي العام، نقترح:

– التأكيد على بعض القضايا التي تعتبر سيادية و تدخل ضمن الخصوصيات الاجتماعية كما يدعي العارفون بخبايا المعلوماتية وإن كانت تبدو للبعض دقيقة و تفصيلية مثل :

– ضبط الوسائط المعلوماتية لما لها من بالغ الأثر خلقيا وسيكولوجيا، وكم فقدنا من شباب ضحايا تطبيقات خطيرة كالحوت الأزرق .

– توحيد المرجعية من مشارب محلية وهو مطلب شرعي ومقتضى دستوري ذو صبغة أمنية.

إن حرص السلطات العمومية في كل مجتمع إنما ينطلق من مسؤوليتها على وحدته وحفظ أفراده وممتلكاتهم وصون فكرهم وسلامة عيشهم في سكينة و رفاهية في حدود ما رسمه الأولون من أسلافهم والقدرة على مواجهة كل ما من شأنه تهديد مقدراتهم المادية واللامادية ، ذلك أن حكومات الدول في سعي دائم إلى تحقيق الأفضل لمجتمعاتها عبر مسار حضاري لن يتأتى إلا من خلال جناحين هما الحفاظ على الموروث وتقبل الوافد في حدود لا تتعارض و فكره وثقافته ومعتقده كما تقدم وتطويع التكنولوجيا التواصلية بما يخدم هذا المشروع الحضاري.

المراجـــع :

سورة الحجرات **الآية 13**

وليد منير، التنمية وأزمة الثقافة بين ظاهرة الاستلاب و فاعلية التغيير ، مجلة ثقافتنا، مجلد 6 ،كلية التربية ،القاهرة، 2010

عادل الصويري، تمظهرات الاستلاب، شبكة النبأ 13 جويلية 2017 .

عبد الحكيم أحمين، الهويات الافتراضية في المجتمع العربي أي دور لمواقع التواصل الاجتماعي في تشكيل الهوية ،دار الأمان ،الرباط ، 2017

سورة الإسراء، الآية 70

سورة محمد، الآية 38

سورة النحل، الآية 97

عبد الرحمن بن معلا لويحق، (24 02, 2016)، مقال حول الأمن الفكري، مجلة جامعة الأمير نايف للعلوم الأمنية، الرياض .

حديث شريف سنن الترمذي

داريوش شايغان هاجس الغرب في مجتمعاتنا دار الساقي ط 1 لندن 1991 ص 36

سورة النحل الآية 112

نعمان عباسي، العولمة الثقافية الغربية و الهوية الإسلامية، سلسلة أعمال الملتقيات، مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث و الترجمة، 2010، ص218

عفيف البهنسي، الهوية الثقافية بين العالمية والعولمة، منشورات وزارة الثقافة ،الهيئة العامة السورية للكتاب 2009، ص92.

Vaklav Havel ,Il est permis d'espérer, trad. Par Barbara Faure, Calmann-Levy, Paris, 1997. P16

havel, v. (1997). *il est permis d esperet tard.* paris: barbara faure.

الإسراء ,س .آية 70.

البهنسي ,ع .(2009) .*الوية الثقافية بين العالمية والعولمة* .الهيئة العامة السورية للكتاب.

الحجرات ,س.

الحكيم ,أ .ع .(2017) .*الهويات الافتراضية في المجتمع العربي* .الرباط :دار الأمان.

الصويري ,ع .(2017) .*تمظهرات الاستلاب* .Récupéré sur شبكة النبأ.

اشكالية الهوية في المجتمعات المعاصرة .*مخبر المسألةالتربوية* .57 .p ,*13* ,

المعلى ,ل .ع .(24 02 ,2016) .الأمن الفكري .*مجلة الامير نايف للعلوم الامنية* .

النحل ,س.

النحل ,س.

شايغان ,د .(1991) .*هاجس الغرب في مجتمعاتنا* .(éd. 1)لندن :دار الساقي.

عباسي ,ن .(2010) .العولمة الثقافية الغربية والهوية الاسلامية .(p. 218) .مخبر علم اجتماع الاتصال.

محمد ,س .آية 38.

منير ,و .(2010) .التنمية و ازمة الثقافة .*مجلة ثقافتنا* .*6* ,

كيفية الاستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA:

عطية شطة، (2021)، **الاغتراب الثقافي بفعل التكنولوجيا المقتحمة لخصوصية المجتمعات.**، مجلة تطوير العلوم الاجتماعية، المجلد 14(العدد 02)، الجزائر : جامعة زيان عاشور الجلفة، ص.ص229-241.